عبير الخطيب يستعين بعين الطائر لرسم عوالمه المُذهّبة

الخروج من أسر الأشكال التقليدية إلى الدائرة منفتحة الأبعاد

ينهمك الفنان عبير الخطيب في مشروع فني يفضي غالباً إلى سلسلة طويلة من اللوحات مختلفة الأحجام لكنها تتمحور على ثيمة واحدة، كما هو الحال في مشاركته المتميزة في المعرض الجماعي الذي نظّمته الملحقية الثقافية بلندن حيث ضمّ أعمالاً فنية منوعة لكل من علي جبار، عماد الطائي، صادق طعمة، علاء جمعة وأمين شاتي.

لندن / عدنان حسين أحمد

يبحث عبير الخطيب، شأنه شأن العديد من الفنانين المبدعين، المنقطعين لتجاربهم الفنية والمخلصين لها، عن تقنيات جديدة لم يستعملها أحد من قبل، أو لم يرسّخها كأسلوب فني سائد. ويبدو أن تأملاته في عالم الجياد قد مهّدت له السبيل لاكتشاف هذه التقنية الجديدة. وربّ سائل يسأل عن العلاقة بين عالم الجياد وبين الأسلوب الجديد الذي سيعتمده الفنان عبير الخطيب في إنجاز أعماله الفنية التي يتمناها أن تكون جديدة، ومختلفة، وخارجة عن المألوف. أكد لي الخطيب في حوار شخصي أجريته معه على هامش المعرض بأنه أفاد من (عين الحصان) التي تبدو طولانية، وغير مستديرة تماماً، وأن بإمكانها تلمّ مشهداً واسعاً لا تستطيع العين البشرية المجردة أن تحتويه. يحاول الخطيب أن يتحرر من الأشكال التقليدية للأعمال الفنية مثل المستطيل والمربع والمثلث وما إلى ذلك. وقد اقترح علينا في معرضه المشترك أن يكون بعض لوحاته دائرية، وفي منتصفها تماماً دائرة صغيرة تحيل حتماً إلى حدقة عين الحصان التي أشرنا إليها قبل قليل. يمكن تعليق هذه اللوحة في كل مكان من غرف البيت وجدرانه، بما فيها السقوف وأرضيات الغرف لو شئتم، أو طاولات مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض. كما يمكن للمتلقي أن يشاهد العمل الفني بكل جهاته الأربع من زاوية منظورية واحدة من دون أن يكلف نفسه عناء الدوران على الجهات الأربع.

لا شك في أن تكوين هذه اللوحة الدائرية معقد ويحتاج إلى تأمل في التفاصيل، وتدقيق في الفيكرات، ومتابعة لشبكة العلاقات الداخلية التي تؤسس هذا العمل الفني الذي لا يخلو من بعض المجازفات. المشهد العام حلمي وفنتازي بامتياز، وثمة احتفاء باذخ بالأجساد البشرية العارية التي تتخذ أوضاعاً مختلفة.

غالبية هذه الأجساد الرشيقة اللدنة المطوعة أنثوية توقظ في المتلقي مشاعره الحسيّة الدفينة الموجودة أصلاً، لكنها تنتفض ما إن ترى هذا العري الفاضح الذي يدهم العينين اللتين لا تشبعان من التمعّن في منجم اللذات الأزلية، وبعض الأجساد الأخرى ذكرية وهي الأقل عدداً في هذا المهرجان النسائي المجنّح، فكل الفيكرات المؤسسة لمتن هذا العمل الفني مجنّحة الأمر الذي يدفعنا لدراسة سرّ تعلّق الفنان بهذه الأجنحة الملائكية، وكأنّ النساء حمامات بيضاوات وديعات حططنَ على هذه البقعة الفردوسية الأخاذة التي تضم هي الأخرى بعض البيوت الفخمة والكنائس القديمة، وربما ينسجم لون الحصانِ الأبيض مع الأجنحة الملائكية ويتماهى فيها تماماً. كل الجهات الافتراضية الأربع للدائرة تنسحب لا شعورياً صوب الدائرة الصغيرة التي تتوسط متن اللوحة وتندغم فيها وكأنها النافذة الوحيدة التي سوف تسمح لهذه الأجساد البشرية المجنحة بالنفاذ منها. لابد من الأخذ بعين الاعتبار مسألة الخط الفاصل بين الجنس العابر والحب المستديم الذي يضرب جذوره في أعماق الكائنات البشرية التي قد تجد نفسها في صورة الآخر أو في مراياه المتخيلة في الأقل.

وعلى الرغم من هيمنة الجانب الإيروسي بتجلياته المختلفة والتي هي في مجملها حاجات إنسانية مُلحّة، إلا الجنس المبتذل يغيب تماماً ويحضر في مواجهته الإيروس كلغة بدنية وروحية غامضة في آن معاً. وإذا وضعنا اللوحات الدائرية وما تنطوي عليه من مقاربات جديدة جانباً فإن أعماله الفنية الأخرى التي اشترك بها في هذا المعرض الجماعي، وهي للمناسبة عشرة أعمال، وتحمل العنوان الساحر ذاته (أعالي الذهب) حيث يتعمّق في هذه الفكرة الرئيسية ويستجلي مفردات الجمال الكامنة في أعماقها. فبريق الذهب لا نرى ألوانه الأخّاذة على القبب والأشكال العمرانية الأخرى المذهّبة، وإنما نراه على كثير من جدرانِ الأبنية الأخرى التي تكون هدفاً أو موضوعاً رئيسياً في لوحات الخطيب، وربما يحفّزنا أكثر من ذلك إلى الذهاب في رحلة معاكسة للبحث عن مناجم الذهب في أعماق الأرض، وإذا كان المتلقي ذا خلفية علمية بحتة فإنه قد يذهب بمخيلته البعيدة إلى (السوبر نوفا) الذي يعتبر مصنعاً لكل العناصر بما فيها الذهب القادم من تشظيات وانفجارات هذا النجم العملاق الذي يسبح في مجراتنا السماوية الكبيرة.

لابد من الإشارة إلى إفادة الخطيب من الأمكنة والمهيمنات العمرانية المميزة واللافتة للنظر مثل الحصون القديمة والقلاع الأثرية والكنائس القوطية والقصور الباذخة وما إلى ذلك، وهي التي تأسر اهتمام الفنان وتستدعيه، ليس إلى مظاهرها الخارجية حسب، وإنما إلى غرفها وأروقتها وباحاتها الداخلية المليئة بالأسرار.

وقد وظف الخطيب هذه الموضوعات في أعماله الفنية الأخيرة في أثناء إقامته في هولندا، وزياراته المتعددة إلى بلجيكا التي يحضر بعض أبنيتها العمرانية القديمة في لوحاته، وألمانيا وفرنسا، ولابد أن تتسلل الأمكنة البريطانية إلى أعماله الفنية في السنوات القديمة طالما أنه يقيم فيها الآن ولا بد أن يفيد من معطياتها البصرية المشتقة من الجانب العمراني بأشكالة المتنوعة.

وفي الختام لابد أن نذكّر المتلقي بأن الفنان عبير الخطيب يستعمل (عين الطائر) في رصده لهذه الموضوعات المرسومة التي ينفذها بشكليها الاعتيادي أو التصغيري، وربما يكون الفرق الوحيد أن هذه المصغّرات تحتاج إلى ما يشبه المعاينة المجهرية والفحص الدقيق للعناصر الأساسية المكوِّنة للعمل الفني، بينما يبقى مُشاهِد اللوحة الاعتيادية على مسافة محايدة وطبيعية لا تضطره إلى الاقتراب من العمل الفني إلى الدرجة التي قد يصل فيها حدّ الملامسة والالتصاق.

(غـزالـة الـصّـبـا) بـاحـتـفـاء تـشـكـيـلـي

هاشم تايه

(١)

ليس غريباً أن يؤطّر معرضٌ شخصيّ للتشكيليّ عبّاس السّعد جلسة احتفاء بـ (غزالة الصّبا)، الكتاب الشعريّ للشاعر كاظم الحجّاج، في طبعته الثانية؛ فالحجّاج، هو الآخر، مارس الرّسم في فترة مبكرة من حياته، ومايزال الرّسم يُرى حيوياً في قصائده، وينتشر ملوّناً فعل الشعر بألوانه، مُضاعفاً طاقاته، معمّقاً تأثيره..

إنّ من بين ما يؤسّس لقوّة الأثر الجمالي في هذه القصائد، ويرفع عالياً أداءها التعبيريّ استنادها إلى ظهير بَصَريّ يمثل بمستويين، أحدهما تتقدّم فيه الرؤية البصَريّة فتغدو منطلقاً/ قاعدة تحتيّة لإنشاء تبصّر معرفيّ، وابتكار مفارقة ذهنيّة عبر جدل يتحقق بين المرئي والوعي به:

"الدّمعةُ ماءٌ مسجون
ينتظرُ الحريّة
من حزن.. قادم!"

هكذا يتقدّم المرئي- الدمعة/ الماء في العين- ليُسهّل اصطياد مفارقة/ طريفة وعي، تجعل الدمعة سجيناً لن يتحرر إلاّ بحزنٍ منتظَر..

المستوى الآخَر يلتحق فيه المرئي بفكرة أو تصوّر، ويظهر كتمثيل عياني داعم لما أنشأه الوعي أوّلاً:

"يا قريتنا
لَمِّي أبناءك
أيّاً ما كانوا
أو في أيّ مكان
يا قريتنا
مجدُ الرّمانة حبُّ الرّمان!"

هذا المستوى من مستويي حضور المرئي في النصّ الإبداعي له النفوذ في أعمال قرين الشاعر الحجّاج، الرّسّام عبّاس السّعد؛ فرؤيته السّرياليّة- والسرياليّة تأليف عقلي بالصورة مهما قيل عن مصادرها المقيمة في الأحلام، والهلوسات، واللاوعي- تجعل المرئي يظهر في نصّه التشكيليّ كتمثيل لفكرة بزغت في الذهن، أو لمفارقة صادمة نظّمها عقلُ الخيال، لو استوى المفهوم.

والحجّاج الشاعر، كقرينه الرّسّام، لا نعدم أثر السّريلة في نصوصه التي لا يشقّ عليها،مثلاً، أن تُرينا الضوء مسلوقاً:

"كان زغبُ خدّيْها
مثلَ بخارٍ
يتطايرُ
من ضوء مسلوق!"

وعلى الرّغم من أنّ الرؤية البصريّة حاضرة بقوّة في نصوص القرينيْن، إلاّ أن المسافة بينهما تظلّ مديدة، ماثلة في قدرة كلّ منهما على الاستفادة القصوى من عناصر لغته، واللّعب بها وعليها..

لو قُدِّر لطير أن يحوم فوق جلسة الشعر والرسم لكان بوسعه أن يرى الشعر/الشاعر/الصوت في المركز، والرسم/الرسّام/اللّون في المحيط كتخوم، وسيكون على عينيْه أن تلتقطا، بجرعة واحدة، الصورةَ/الصّوت من لسان الشاعر، والصّورة/اللّون من عين الرسّام!

(٢)

أقعدَ جلسة الاحتفاء بغزالة الشاعر كاظم الحجّاج التي زيّنها المعرض الثاني للرسام عبّاس السعد، التجمعُ الثقافيّ العراقيّ بالبصرة، في الثالث والعشرين من آذار الجاري، في مقرّه الذي تعددت هويّاته؛ فهو مقهى للأدباء، وحاضنة لفعاليات التجمع، وغاليري للتشكيليين. وليس هذا التداخل بطراً، ولكنه حصيلة ندرة الأمكنة والفضاءات، ونتاج سوء الاعتراف بأهمية الثقافة وبمنتجيها من قبل سيدتنا السّلطة.

شارك في الجلسة الناقد الأستاذ جميل الشبيبي، وأدارها الكاتب الأستاذ جاسم العايف الذي أثنى على أنشطة التجمع الثقافي، ورأى في نتائجها توطيداً لمسيرة المدنيّة في المنظور التاريخي.

وعن الشاعر الحجّاج قال إنّه متعدد المواهب والاهتمامات؛ فهو شاعر، ورسّام، وخطّاط، وكاتب عمود صحافي ساخر من الطراز الأوّل، وهذه التعددية لوّنت قصيدته اليوميّة التي ظهرت في سبعينيات القرن الماضي مع قصائد مجايليْه في البصرة، الشاعرين عبد الكريم كاصد، ومصطفى عبود.. وقرأ العايف رسالة للفنان فيصل لعيبي خصّ بها الجلسة، وذكر فيها أن الشاعر الحجّاج علّمه عادة جمع الكتب، وإنشاء مكتبة، كما علّمه الرسم، وأنهما معاً أصدرا مجلات مرسومة، وزعاها على أطفال محلتهما في زمن وصفه لعيبي بأنه زمن الوصل الأندلسي بنقائه، وانفتاح فضائه الثقافي حيث تأتلف الكنيسة مع المسجد والحسينيّة والسينما في مكان بعينه..

وفي ورقته التي قرأها وصف الناقد جميل الشبيبي الشاعر الحجّاج بأنّه كاتب مجتمعيّ بامتياز، معنيّ بهموم الناس وتطلعاتهم، في الجنوب بشكل خاص، وتغلب على ديوانه (غزالة الصّبا) بساطة اللّغة، وثراء المادة، وسحر الحياة البسيطة المتآلفة، وفي قصائده التي تتجاوز الانشغال بهمّ ذاتي، تمجيد للإنسان ولحياة الجماعة بقيمها النبيلة، وهي تغتني باستفادتها من تقنيات السينما، والسيناريو، والتشكيل، والمسرح. وعلى الرغم من أن أغلبها قصائد تفعيلة، إلاّ أنها تجنح إلى التكثيف والتركيز والتوهج، وذلك ما يجعلها قريبة من قصيدة النثر.. فضلاً عن أن بنيتها تتحرّك في مجال بَصَريّ تأملي، تنتقل خلاله من المألوف إلى اللامألوف بالمفارقة السّاخرة التي تتمرّد على جسد القصيدة، حيناً، أو تلتحم بعناصرها حيناً آخر. وتدعم المفارقةَ مجازاتٌ مبتكرة،وجملٌ مشهديّة لها قوّة تأثير عالية.

الشاعر الحجّاج قرأ، كعادته بنبرته المؤثرة في جمهوره، عدداً من قصائد (غزالة الصبا).

حضر الجلسة جمهور كثيف غصّت به قاعة التجمع الثقافي المتطلّع إلى الخروج من إطار الجلسات في قاعات مغلقة إلى رحاب الفضاء العام كما يفيد رئيسه السيّد سعيد المظفر.

افتتاح معرض تشكيلي على قلعة أربيل

اربيل / المدى

افتتح على أرض قلعة اربيل الاثرية، معرض فني خاص تضمن عرض ٨٠ لوحة فنية منوعة.

وجاء افتتاح المعرض التراثي الفني، في إطار احتفالات ابناء الشعب الكردي بأعياد نوروز(رأس السنة الكردية) وحلول فصل الربيع، بحضور محافظ أربيل ورئيس المفوضية العليا لتأهيل قلعة أربيل، وعدد من التدريسيين والطلبة، ومنتسبي مفوضية تأهيل قلعة اربيل.

وقال عضو لجنة المفوضية العليا لتأهيل قلعة اربيل ريدار امجد في تصريح صحفي إن "الهدف من افتتاح معرض تراثي فني على أرض قلعة اربيل هو تعريف الجيل الجديد بثقافة وتراث قوميتهم".

وأشار أمجد الى أن "المعرض يضم ٨٠ لوحة، بينها ٣٢ لوحة لطلبة معهد الفنون الجميلة، والبقية لطلبة المدارس الانموذجية في أربيل"، مبينا ان "جميع اللوحات تعبر عن المواقع الاثارية في قلعة اربيل".

يذكر أن قلعة اربيل تعتبر بحسب مصادر تاريخية مختلفة، واحدة من اقدم المستوطنات البشرية التي أقيمت منذ آلاف الأعوام ، وتم إخلاؤها من السكان في السنوات الأخيرة، علماً أن فيها ما لا يقل عن ٥٠٠ منزل ومسجد ومرافق أخرى.